الفصل الثاني عشر

الجبهة في فرنسا
والحملة البريطانية

obeikandl.com

obeikandl.com

يقول تشرشل :

اتجهت الحملة البريطانية حال نشوب الحرب إلى فرنسا ، وما إن انتصف شهر تشرين الأول حتى كانت أربع فرق بريطانية تتمركز على الجبهة الفرنسية ـ البلجيكية ، وانضمت إليها ست فرق أخرى في شهر آذار ، وقد وجدت القوات البريطانية أن الجبهة مستعدة تمام الاستعداد ، فقد حفرت الخنادق لمقاومة الدبابات ، وأنشئت مراكز من الأسمنت المسلح ، ركزت عليها مدافع ورشاشات مضادة للدبابات ، بالإضافة إلى الأسلاك الشائكة الممتدة على طول الجبهة ، وكانت مهمة جنودنا تحسين الجبهة الدفاعية التي أعدها الفرنسيون وتنظيم شكل من أشكال خط سيغفريد ، وتقدم العمل بصورة سريعة بالرغم من الجليد ، وعندما أخذت الصور الجوية تبين أن الألمان بدورهم بدؤوا يوسعون خط سيغفريد من الشمال عبر الموزيل ، وقد كانت المواد الأولية في متناول أيديهم مما سهلت لهم مهمة العمل ، إلا أننا كنا نسير بسرعة تضاهي سرعتهم في التنفيذ ، وتم تشييد المنشآت اللازمة لقاعدة ضخمة ، وأنهينا تعبيد الطرقات وتحسينها ومدت سكة حديد جديدة يبلغ طولها مئة ميل ، ثم أتممنا إنشاء نحو من خمسين مطارًا جديدًا وقاعدة جوية صغيرة ، كما تزودنا بكميات هائلة من العتاد والذخيرة توزعت في المستودعات على طول طرق مواصلاتنا ، وقد تزودنا بالمؤن التي كانت تكفي لمدة عشرة أيام بين السين والسوم ، بالإضافة إلى كميات أخرى تكفي لسبعة أيام شمالي السوم ، وقد ساعدتنا هذه المؤمن وأنقذتنا بعد أن تمكن الألمان من اختراق الجبهة .

كانت روح الجيش الفرنسي ، تختلف عن السابق أثناء الحرب الأولى ، فقد ولت تلك الروح الثائرة المشبعة بالانتقام بعد أن حققت نصرها الأول وكان معظم القادة الذين تولوا زمام الأمور ، قد قضوا نحبهم منذ وقت طويل ، وكان الشعب الفرنسي لا يزال مشدوها من هول المذبحة التي ذهب ضحيتها نحو مليون ونصف المليون رجل ، وكانت فكرة الهجوم لا تزال مرتبطة بمخيلتهم وبالفشل الذي أصابهم أثناء هجومهم عام ١٩١٤ وعام ١٩١٧ وبالآلام والخسائر التي تكبدوها أثناء الهجوم ، وسيطر عليهم الشعور بأن الأسلحة والاختراعات الحديثة قد زادت من قوة الدفاع وأصبحت تشكل خطرًا أكبر على الهجوم والمهاجمين ، ولم يكن هناك من يمكنه أن يتفهم الحقيقة الجديدة القائلة بأن السيارات المدرعة قادرة على الصمود أمام نيران المدافع ، بالإضافة إلى سرعتها الفائقة التي تمكنها من قطع مائة

ميل في اليوم الواحد ، ولم يكترث رجال الجيش وقادته لذلك الكتاب القيم حول هذه المواضيع ، الذي كتبه شخص يدعي القومندان ديغول ... فقد كانت أفكار المارشال العجوز بيتان مسيطرة على عقول القادة ومغلقة الطريق أمام الأفكار الجديدة الجريئة .

وقد سمعنا بعد انتهاء الحرب النقد الكثير حول سياسة خط ماجينو ، ولا شك أن فكرة الدفاع لدى الفرنسيين كانت نتيجة هذه السياسة ، إلا أن التدابير الاحترازية الصحيحة للدفاع عن حدود شاسعة تمتد إلى مئات الأميال ، تقضي بإقامة أكبر عدد ممكن من الحواجز والعقبات والحصون ، فهي توفر من استخدام القوات المحاربة ، ولو أحسن استعمال خط ماجينو لكان باستطاعته أن يقدم خدمة كبيرة لفرنسا.

❖ ❖ ❖

النكتة البريطانية المعروفة:

يقول تشرشل :

هناك نكتة معروفة في بريطانيا تقول: إن وزارة الحربية اليوم تستعد للحرب الماضية ، وكانت هذه النكتة مطابقة لواقع حال الجيش الفرنسي آنذاك ، وكنت من جملة المؤمنين بنظرية الإجراءات الدفاعية التي يجب تنفيذها بدقة ، وكنت بالإضافة إلى ذلك عارفًا بمدى تخوف الفرنسيين من الهجوم نتيجة المذابح المخيفة في الحرب الأولى ، كما أن الوقت الذي أضعناه قد فسح المجال أمام الألمان لبناء خط سيغفريد ، وكانت المجازفة ضخمة لو فكرنا بقذف البقية الباقية من الشبيبة الفرنسية لاقتحام هذا الجدار الهائل من الأسمنت المسلح ، وكانت نظرتي في الأشهر الأولى للحرب لا تختلف كثيرًا عن وجهه النظر السائدة المتعلقة بالدفاع ، وكنت أعتقد أن الأجهزة المضادة للدبابات ومدافع الميدان قادرة على صد أي هجوم مهما كان ، إلا أن هذه النظرية كانت خاطئة ، فقد قدر لنا أن نشهد بعد ثمانية أشهر هجومًا هائلاً شنته القوات ألمانية تتقدمها السيارات المصفحة التي لم تؤثر فيها قوة المدافع لقساوة فولاذها ، فتمكنت من تحطيم جميع ما أعددناه من مقاومة دفاعية ، وجعلت من المدفعية سلاحًا لا قيمة له ، لأول مرة في تاريخ الحروب منذ اختراع البارود .

لكن الجيش الفرنسي لم يكن في وسعه شن أي هجوم قبل نهاية شهر أيلول ، إلا أن بولندا في ذلك الوقت كانت قد استسلمت ، ولم يحل شهر تشرين الأول حتى تمكن الألمان

من حشد سبعين فرقة من الجبهة الغربية متفوقين بذلك على الحشود الفرنسية ، ولو فكر الفرنسيون بشن هجوم من الجبهة الشرقية لتركوا الجبهة الشمالية خالية ، وهي الجبهة الأكثر أهمية .

أما السؤال الذي طالما أثير : «لماذا بقيتم جامدين إلى أن دمرت بولندا؟» فالجواب عليه هو أن المعركة قد تقررت نتيجتها منذ سنوات ، فالفرصة كانت مواتية ومضمونة عام ١٩٣٨ يوم كانت تشيكوسلوفاكيا موجودة ، وفي عام ١٩٣٣ كان في وسع عصبة الأمم أن تستصدر أمرًا ترغم به ألمانيا على الرضوخ دون حاجة إلى إهراق نقطة دم واحدة ، ولا يجوز أن نلقي باللوم على الجنرال غاملان لأنه لم يقم بهذه المجازفة التي ازداد خطرها منذ الأيام الأولى للأزمات التي تخاذلت أمامها فرنسا وبريطانيا .

والآن ما هي احتمالات شن هجوم ألماني عام على فرنسا ؟ كانت هناك ثلاثة احتمالات هي: أن تقوم ألمانيا بشن هجومها عبر سويسرا للالتفاف حول الجبهة الجنوبية لخط ماجينو ، إلا أن العقبات الطبيعية والإستراتيجية كانت تحول دون قيام هذا الهجوم ، أما الاحتمال الثاني فهو في إمكانية غزو فرنسا من الحدود المشتركة بين البلدين ، ولم يكن هذا الاحتمال ممكنا ، إذ لم نكن نعتقد أن الجيش الألماني يملك المعدات اللازمة لتحطيم المنشآت المقامة واختراق خط ماجينو ، يبقى الاحتمال الثالث وهو الهجوم عن طريق بلجيكا وهولندا، فبإمكان الجيش الألماني أن يتجنب اختراق خط ماجينو ويوفر الخسائر المتوقعة من جراء الهجوم على التحصينات المنيعة ، ولم يكن في استطاعتنا صد الهجوم على بلجيكا ، وإن كان ذلك في مصلحتنا ، وكان هناك خطان يمكننا أن نتقدم نحوهما إذا ما دعتنا بلجيكا لاحتلالهما ، فالخط الأول هو ما يدعي خط «الشلدت» وهو قريب من الحدود الفرنسية ، ويمكن الوصول إليه بسهولة ، وبإمكاننا الاحتفاظ به للتضليل، وهذا في أسوأ الاحتمالات ، كما يمكننا إذا ساعدتنا الظروف أن نقوم بإنشائه وتدعيمه ، أما الخط الثاني فهو الخط الذي يسير مع نهر الوز عبر جيفيت وديننت ونامور ولوفين إلى انتويرب ، ولو استطعنا أن نحتفظ بهذا الخط مهما كلفنا الأمر ، فإن الجناح الأيمن للجيش الألماني سيتوقف، وسيمكننا معرفة قوة الجيش الألماني ، فإذا كان ضعيفًا ، عندئذ يمكننا ابتداء هجوم كاسح ندخل به إلى ألمانيا ونشرف على منطقة الروهر الهامة بالنسبة للإنتاج الحربي الألماني .

ويقول رؤساء الأركان : «إن الخطة الفرنسية المسماة خطة «د» تقضي بأن يسرع الحلفاء

إلى احتلال خط جيفيت ـ نامور، إذا تمكن البلجيكيون من الاحتفاظ بحوض الموز، كما أنه يترتب على القوات البريطانية أن تعمل في الجهة الشمالية، ونحن نجد أن هذه الخطة غير معقولة، إلا إذا وضعنا خططها مع البلجيكيين أنفسهم لاحتلال هذا الخط، قبل مدة من الزحف الألماني، وبعد أن يتبدل موقف بلجيكا الحالي، وترسم الخطط اللازمة بوقت قريب لاحتلال خط جيفيت ـ نامور والمسمى في بعض الأحيان خط المور ـ انتويرب، ونحن نجد أنه يترتب علينا أن نواجه الزحف الألماني في أماكن نعدها في وقت مبكر على الحدود الفرنسية بالذات».

وفي اجتماع مجلس الحلفاء الأعلى في باريس، اتخذ القرار التالي: «نظرًا للأهمية الكبرى المترتبة على وجوب إبقاء الألمان في أقصى مكان ممكن إلى الشرق، فمن الضروري جدًا بذل كل محاولة للمحافظة على خط الموز ـ أنتويرب، في حال تعرضت بلجيكا للهجوم الألماني».

وهكذا أمضت الحملة البريطانية فصلي الربيع والشتاء في تجهيز مواقعها وتحصينها، واستعدادها للحرب الدفاعية أو الهجومية، وقد كانت استعدادات الجيش رائعة ومنظمة وأكثر قوة في نهاية فصل الشتاء، إلا أننا كنا لا نزال نشكو نقصًا كبيرًا في الدبابات، ولم يكن لدينا فرقة مدرعة واحدة ضمن الحملة البريطانية في فرنسا، فقد أهملنا تطوير هذا النوع من السلاح الفعال في فترة ما بعد الحرب الأولى، ولم يكن عندنا سوى كتيبة تضم سبع عشرة دبابة خفيفة ومائة دبابة «مشاة» معظمها مجهزة بالمدافع الرشاشة فقط، لقد أهملنا هذا السلاح الهام الذي قدر له أن يسيطر على ميادين القتال ...

أما الجيش الفرنسي فلم يكن بحالة حسنة، ففرنسا لم تواجه الحرب عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ بروح معنوية مرتفعة أو بشيء من الثقة والإيمان، فالسياسة الداخلية المضطربة قد خلقت نوعًا من الانقسام والسخط، وكانت الدعايات السامة التي يبثها غوبلز تلاقي آذانًا صاغية تحفظها وترددها، وكانت تأثيرات الانقسام والشيوعية والفاشية تنعكس على الجيش وتتغلغل في صفوفه خاصة في فترة الانتظار الطويلة قبل الهجوم، ولم يكن هناك من أدنى شك في أن الانتظار الطويل قد أخر في كفاءة الجيش الفرنسي فلو قاتل في الخريف مثلاً لكان قتاله رائعًا وأروع منه في الربيع... وسرعان ما وجد هذا الجيش نفسه عرضة لهجوم ألماني كاسح صعقه بعنف.

وختامًا لهذا الفصل أذكر هذه الحادثة المهمة التي حدثت في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٤٠ م والتي أكدت المخاوف بالنسبة إلى الجبهة الغربية ، فقد قضت الظروف بأن تهبط طائرة ألمانية كانت تقل ضابطًا ألمانيا ، في بلجيكا ، وعندما اعتقلته القوات البلجيكية حاول الضابط أن يتلف بعض الوثائق التي كان يحملها ، إلا أنهم تمكنوا من مصادرتها قبل أن يتمكن من إتلافها ، وقد تضمنت تلك الوثائق الخطة الكاملة لغزو بلجيكا وهولندا وفرنسا ، هذه الخطة التي وضعها هتلر بنفسه.

وبعد قليل أطلق سراح الضابط فعاد إلى بلاده وأخبر قادته بما جرى له وعندما نقلت إلى التفاصيل ذهلت وأنا غير مصدق كيف لا يضع البلجيكيون خطة يشركوننا فيها في الحال ، لكنهم لم يفعلوا شيئًا من هذا وقد طلبنا منهم أن يتعاونوا معنا ، لكن الملك وقادة الجيش آثروا التروي والانتظار علّه يأتيهم المستقبل بأشياء جديدة تقلب الأوضاع مرة أخرى ، أما من الناحية الثانية ، فقد استدعى هتلر غورنغ وأمطره بسيل من الشتائم ثم اضطر إلى تغيير خطة الغزو من أساسها ، وقد تأكد لنا الآن من الوثائق المصادرة أن هذه الخطة كانت صحيحة .

لقد آثر ملك بلجيكا أن يبقى على الحياد ، آملاً أن يتمكن من الصمود أمام الجيش الألماني ، ثم يطلب الجيوش البريطانية والفرنسية لتسارع إلى نجدته ... لقد كان العصر عصر التردد والتخاذل، ولم نكن لنلومه على موقفه هذا ...

❖ ❖ ❖

obeikandl.com